الضحك في القرآن الكريم
آيات ودلالات

د. إيمان بنت عبد الرحمن محمود مغربي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، أنزل خير كتبه على خير رسله، وجعله بلسان عربي مبين والصلاة والسلام على النبي الأمي العربي، وعلى الآل والصحب الكرام وعلى التابعين لهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد اهتم الباحثون بدراسة كتاب الله تعالى عموماً والعناية بمواضيعه خصوصاً؛ وذلك لما حظي به هذا الكتاب المعجز من الدلالات والإشارات اللطيفة، والأسرار العجيبة، لا سيما وهو كتاب الله العظيم، الذي لا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم.

ومما لا شك فيه فإن الاهتمام بمواضيع القرآن الكريم تعلماً وتعليماً وتبسيطاً وتفهيماً يعتبر من أعظم القرب التي يتقرب بها إلى الله تعالى، إذ هو الكتاب الذي امتن الله به على هذه الأمة، وتكفل سبحانه بحفظه وصيانته من التحريف والتبديل كما قال تعالى:

(*) أستاذ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب والعلوم الإدارية بجامعة أم القرى.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وسيظل هذا الكتاب الخالد موردا لا ينضب معينه، وإسهاماً مني في خدمة كتاب الله تعالى و بيان معانيه، وإظهار ثمرته على الواقع العملي فقد وقع اختياري على أحد مواضيعه وهو **الضحك في القرآن الكريم آيات ودلالات** لما في الموضوع من مزيد تدبر في آيات الله تعالى والغوص في أعماقه واستخراج دره وأسراره، حيث تعددت مواطن ذكر القرآن الكريم لمعاني الضحك، وتعددت دلالاتها وأغراضها، فعمدت لجمع معلومات متفرقة بعيدًا عن النقل والرصف والتكرار بلا فائدة.

أما مدار هذا البحث فقد جعلته منصبًا على بيان معاني آيات القرآن الكريم عند المفسرين خصوصًا، مع الاستنارة بشروحات اللغويين واختلافاتهم، مع شيء من آراء البلاغيين- إن وجد- وذلك لما للبلاغة من أثر واضح في بيان المعاني وجلائها.

لقد ورد لفظ الضحك في القرآن الكريم في عشر آيات، ورغم قلة هذه الآيات إلا أنها أعطت دلالات مختلفة أطلق فيها اللفظ وأريد به معان عدة وفق السياق ومقتضى كل آية، مما يدل على إعجاز القرآن الكريم ومعينه الذي لا ينضب.

أما مرادفات اللفظ كالتبسم والفرح والسرور فكثيرة وهي ليست مجالا للبحث.

هذا؛ وقد ثبت الضحك في حقه سبحانه وتعالى[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن: ما مَعَنَا إلا الماء، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: من يَضُمُّ أو يُضِيفُ هذا؟ فقال رجل من الأنصار: أنا، فَانْطَلَق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول اللَّهِ ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني. فقال: هيئي طعامك

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) إثبات صفة الضحك له سبحانه لابد أن تكون بما يليق بجلاله سبحانه بدون تكييف أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل كما هو حال أهل السنة والجماعة مع صفاته سبحانه وتعالى، وجانب الصواب - والله أعلم - من أول الضحك بالرضا أو الرحمة وإن كانت هذه المعاني متضمنة في معنى الضحك، أو أوله بمعان أخرى مجازا، قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: يضحك الله تعالى ولا يعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن. انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية للحنبلي (١١١/٣).

وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طَاوِيَيْن[1]. فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد"[3].

كما ورد عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها قالت: لما مات سعد بن معاذ صاحت أمه فقال لها رسول الله ﷺ: "ألا يرقأ دمعك ويذهب حزنك؛ فإن ابنك أول من ضحك الله إليه واهتز له العرش"[4].

خطة البحث:

بتيسير من الله وفضل اشتملت خطة البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة:

تناولت فيها سبب اختيار الموضوع وخطة البحث ومنهجيته.

---

(١) طاوين: جائعين، والطَوَى: ضمور البطن من الجوع.انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٩/٣)، مختار الصحاح للجوهري (١٦٨/١)، مشارق الأنوار للفضيل ابن عياض (٣٢٣/١).

(٢) صحيح البخاري: بَاب قَوْلِ اللَّه تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩، (٣ / ١٣٨٢)، رقم الحديث (٣٥٨٧).

(٣) صحيح البخاري، باب: الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل، ح (٢٦٧١)، (٣ /١٠٤٠).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ٢٢٨)، حديث رقم (٤٩٢٥) وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص:صحيح.

الفصل الأول: تعريف الضحك وأدلته من القرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف لفظ الضحك لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أدلة الضحك من القرآن الكريم .

الفصل الثاني: معاني الضحك في القرآن الكريم.

المبحث الأول: الضحك بمعنى الفرح والسرور.

المبحث الثاني: الضحك بمعنى التهديد.

المبحث الثالث: الضحك بمعنى السخرية والاستهزاء.

المبحث الرابع: الضحك بمعنى التعجب.

الخاتمة:

تتضمن أهم نتائج البحث.

منهج البحث:

جمعت فيه بين المنهج الاستقرائي في جمع الآيات الكريمة وأقوال المفسرين فيها ودراستها، وبين المنهج الاستنباطي لاستنباط المفاهيم المتعلقة بمطالب البحث أو استخراج الرأي الراجح عند الاختلاف على النحو التالي:

١) استقرأت الآيات القرآنية لجمع الآيات التي ورد فيها لفظ الضحك، وعزوتها إلى سورها مع بيان رقم الآية.

٢) جمعت أقوال المفسرين في شرح الآيات من مظانها .

٣) كتبت تفسيراً إجمالياً للآيات أو الآية التي ورد اللفظ الشاهد فيها لتتم الفائدة ويتضح المعنى جلياً، وعنونت له بعنوان: بين يدي الآيات.

٤) خرجت الأحاديث الواردة في النص، وذكرت الحكم عليها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٥) بينت معنى الغريب من الألفاظ الواردة في النص.

٦) ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات ليسهل على القارئ الوصول إلى مراده.

أسأل الله تعالى في مستهل البحث التوفيق والسداد، وأن يلهمني الحكمة وحسن الرشاد.

* * *

الفصل الأول

تعريف الضحك وأدلته من القرآن الكريم

المبحث الأول: تعريف الضحك:

لغة: الضَحِك: معروف؛ ظهور الثنايا من الفرح[١]، والضَوَاحك: الأسنان التي تظهر عند التبسم، والضُحَكَة: الكثير الضحك يعاب به، والضحاك في النعت أحسن من الضحكة، والضاحكة كل سن من مقدم الأضراس ما يبدو عند الضحك[٢].

اصطلاحا: انبساط الوجه وتكشير الأسنان من سرور النفس[٣].

وهو أقسام ثلاثة[٤]:

- **التبسم:** وهو مبادئ الضحك من غير صوت.
- **الضحك:** انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفي، وهو أعم من التبسم، فكل تبسم ضحك، وليس كل ضحك تبسماً، وكثرته منهي عنها كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب"[٥].

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٥٩/١٠).

(٢) العين (٥٨/٣).

(٣) انظر: المفردات للأصفهاني (٢٩٢/١)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤٦٠/٣).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٠٤/١٠).

(٥) الأدب المفرد ج١ ص٩٨حديث (٢٥٣).

- **القهقهة:** انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت يسمع من بعيد، وهي مذهبة للوقار، مبطلة للصلاة[١].

المبحث الثاني: أدلة الضحك من القرآن الكريم:

ولقد وردت مادة الضحك في القرآن الكريم ١٠ مرات على النحو التالي حسب ورودها في المصحف:

١ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢].

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[٣].

٣ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[٤].

٤ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[٥].

٥ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٦].

٦- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[٧].

---

(١) انظر: الحجة للشيباني (٢٠٤/١)، مسائل الإمام ابن حنبل وابنه عبد الله (٩٩/١)، الحاوي الكبير للشافعي (٢٠٣/١)، مراتب الإجماع لابن حزم (٢٨/١).

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) هود: ٧١.

(٤) المؤمنون: ١١٠.

(٥) النمل: ١٩.

(٦) الزخرف: ٤٧.

(٧) النجم: ٤٣.

٧ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١).

٨ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢).

٩ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٣).

١٠ – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤).

وبالنظر في الآيات نجد أنها كلها آيات مكية مكية عدا آية التوبة فهي مدنية.

ومن خلال استعراضنا لهذه الأدلة القرآنية نجد أنها أفادت معاني عدة كما سيلي بحول الله تعالى.

* * *

الفصل الثاني

معاني الضحك في القرآن الكريم

المبحث الأول: الضحك بمعنى الفرح والسرور:

جاء هذا المعنى في ثلاث آيات قرآنية، ورد فيها لفظ الضحك وأريد به الشعور بالسرور والرضا والفرح.

وهذه الآيات وفق ترتيب ورودها في القرآن الكريم على النحو التالي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٥).

---

(١) النجم: ٦٠.

(٢) عبس: ٣٩.

(٣) المطففين: ٢٩.

(٤) المطففين: ٣٤.

(٥) النمل: ١٨، ١٩.

بين يدي الآيات:

يخبر تعالى في مجمل حديثه عما أنعم به على سيدنا سليمان عليه السلام من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، حيث وهب له من الملك التام والتمكين العظيم حتى أنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا وهذا شيء لم يعطيه أحد من البشر، فقد امتن الله سبحانه على سليمان بأن أفهمه ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها..

حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل، خافت نملة على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها، فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم، ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها، وسأل الله تعالى أن يلهمه شكر نعمته التي من بها عليه من تعليم منطق الطير والحيوان وعلى والديه بالإسلام له سبحانه والإيمان به، وأن يعمل عملا يحبه ويرضاه،وطلب من الله تعالى أن اذا توفاه أن يلحقه بالصالحين من عباده والرفيق الأعلى من أوليائه[١].

عن أبي الصديق الناجي أن سليمان بن داود عليهما السلام خرج بالناس يستسقي، فمر على نملة مستلقية على قفاها،رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنا خلق من خلقك، ليس بنا غنى عن رزقك، فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا، فقال سليمان للناس: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم[٢].

الشاهد من الآيات قوله تعالى:﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا ﴾.

قال ابن كثير: "إن سليمان عليه السلام فهم قولها، وتبسم ضاحكا من ذلك، وهذا أمر عظيم جدا"[٣]، فالضحك في هذه الآية على معناه الأصلي، فتبسم هنا بمعنى:

---

(١) انظر:تفسير ابن كثير (٣ / ٣٥٩)، زاد المسير لابن الجوزي (١٦٢/٦).

(٢) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧ /٧١)، ح (٣٤٢٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٦٠/٣).

ضحك سرور[1]، و قيل: كان أوله التبسم وآخره الضحك[2].

ولما كان التبسم يكون للاستهزاء والغضب، وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح أتى بقوله: "ضاحكا" وهي حال مؤكدة؛ وقرأ ابن السميفع: ضحكاً، وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف يدل عليه تبسم؛ كأنه قال: ضحك ضحكاً، فانتصابه على المصدرية أو على أنه مصدر في موضع الحال كقراءة ضاحكا[3].

قال الرازي: "**وإنما ضحك لأمرين:**

أحدهما: إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده (وشفقتهم) وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، وذلك قولها: (**وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**).

والثاني: سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه"[4].

وذكر بعض المفسرين أن الضحك في هذه الآية كان تعجباً؛ قال مقاتل: كان ضحك سليمان من قول النملة تعجبا لأن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك[5].

وقال النسفي: "قوله تعالى: ﴿ **فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا** ﴾ متعجبا من حذرها واهتدائها لمصالحها ونصيحتها للنمل، أو فرحا لظهور عدله"[6].

---

(١) انظر: المفردات للأصفهاني (٢٩٢/١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣ /٤١١).

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٦١/٧)، فتح القدير للشوكاني (١٣١/٤)،إملاء ما من الله به من الإعراب والقراءات للعكبري (١٧٢/٢)، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب (٤٩٣/٦).
وقراءة الجماعة "ضاحكا" بألف.انظر: معجم القراءات للخطيب(٤٩٤/٦).

(٤) التفسير الكبير (٢٤ /١٦١)، و انظر: التسهيل لابن جزي (٩٤/٣)، تفسير السمرقندي (٥٧٦/٢)، روح المعاني للألوسي (١٧٩/١٩).

(٥) تفسير البغوي (٣ /٤١١)، وانظر: تفسير السمرقندي (٥٧٦/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (١٦٢/٦)، تفسير النسفي (٢٠٨/٣).

(٦) تفسير النسفي (٢٠٨/٣).

والأول أظهر لمناسبته لما بعد من الدعاء[١] في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

وقد كان أكثر ضحك الأنبياء التبسم[٢]، وكذا كان ضحكه ﷺ في غالبه تبسماً، فقد روت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يتبسم"[٣].

وعن عبد الله بن الحارث بن حزم رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدا أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[٤].

وهذا لا يتعارض مع ما ورد عن ضحكه ﷺ في أحاديث أخرى كما روى جَرِيرُ ابن عبد اللّه رضي الله عنه عندما قال: "ما حَجَبَنِي رسول اللّه ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ ولا رَآنِي إلا ضَحِكَ"[٥]، وما جاء أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه؛ فقد جمع ابن حجر في الفتح بين كل هذا بقوله:

"ويحتمل أن يريد بالنواجذ الأنياب مجازا أو تسامحا وبالأنياب مرة فقد تقدم في الصيام في هذا الحديث بلفظ حتى بدت أنيابه[٦]، والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار، قال ابن

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١٩ /١٧٩).

(٢) انظر: تفسير النسفي (٢٠٨/٣)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤٣/١٩). تفسير السعدي (٦٠٣/١). هذا ولم أقف -حسب جهدي- على ما يدل على تبسم الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم ولعل القول بأن أكثر ضحك الأنبياء التبسم لأنه الأكمل في حق من اصطفاهم الله تعالى لرسالته والله تعالى أعلم.

(٣) صحيح البخاري: باب التبسم والضحك، ح (٥٧٤١)، (٢٢٦١/٥).

(٤) سنن الترمذي: باب في بشاشة النبي ﷺ، ح (٣٦٤١)، (٦٠١/٥) وقال: "حديث حسن غريب".

(٥) صحيح البخاري: باب: ذكر عبد الله بن جرير البجلي، ح (٣٦١١)، (٣ /١٣٩٠).

(٦) انظر: صحيح البخاري: باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتُصدق عليه فليكفر، ح(١٨٣٤)، (٦٨٤/٢).

بطال: والذي ينبغي أن يقتدي به من فعله ما واظب عليه من ذلك"[1].

هكذا كان المصطفى صلوات ربي عليه وسلامه يربي بالضحكة ويهذب بالابتسامة، ويقوم بالمزحة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته مقاصد.

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

بين يدي الآيات:

يقول الحق عز وجل: ليس للإنسان في الآخرة إلا ما عمل في الدنيا من خير أو شر، وسيرى ثواب عمله في الآخرة، ويعطى ثوابه كاملا، لأن في ذلك اليوم تنتهي أعمال العباد إلى الله، وإليه يرجع الخلق كلهم، وهو يجازيهم بأعمالهم صالحهم وطالحهم، ومحسنهم و مسيئهم.

وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ أي: أضحك أهل الجنة في الجنة بدخولهم إياها، وأبكى أهل النار في النار بدخولهم إياها، وأضحك من شاء من أهل الدنيا، وأبكى من أراد أن يبكيه منهم[3].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾.

المراد بالضحك هنا الضحك الحقيقي؛ وهو لا ينشأ إلا عن سرور النفس[4]، وهذا خلق عجيب دال على انفعال عظيم في النفس[5]، قال عطاء: يعني أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء[6].

---

(١) فتح الباري (١٠/ ٥٠٥)، وانظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧٧/٩).

(٢) النجم: ٣٩ - ٤٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٧ /٧٤)، تفسير السمرقندي (٣ /٣٤٦).

(٤) انظر: التسهيل لابن جزي (٧٨/٤)، تفسير ابن عثيمين(٣٣/١١).

(٥) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤٢/٢٧).

(٦) انظر: تفسير البغوي (٢٥٥/٤).

والعرب تقول في كلامها إذا عيب على أحدهم الجزع والبكاء: إن الله أضحك وأبكى ويذهبون به إلى أفاعيل الدنيا[١].

قال ابن عطية:

"وذكر الضحك والبكاء لأنهما صفتان تجمعان أناسا كثيرة من الناس، إذ الواحدة دليل السرور والأخرى دليل الحزن في الدنيا والآخرة فنبه تعالى على هاتين الخاصتين اللتين هما للإنسان وحده، وقال مجاهد: المعنى {أَضْحَكَ} الله أهل الجنة {وَأَبْكَى} أهل النار"[٢].

وفي ذلك كله دلالة على أن كل ما يعمله الإنسان بقضائه سبحانه وخلقه حتى الضحك والبكاء، وأتى بالأمرين وهما متقابلان ليُعلم بذلك أن الله تعالى قادر على خلق الضدين[٣].

وهناك من قال أن المراد بالآية: أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر؛ وهو منسوب للضحاك[٤]، وهذا مجاز كما قال ابن جزي[٥].

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[٦].

بين يدي الآيات:

لما بين الحق تعالى حال الناس يوم القيامة في الآيات: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ وذكر انقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء، بيَن حال المؤمنين فذكر أن وجوههم مسفرة مشرقة مضيئة لأنهم قد علموا عندها ما

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٥/٥٤).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٥/ ٢٠٧).

(٣) انظر: تفسير ابن عثيمين (١١/٣٣).

(٤) نقلا عن: تفسير البغوي (٤/٢٥٥)

(٥) انظر: التسهيل لابن جزي (٤/٧٨).

(٦) عبس: ٣٨-٣٩.

لهم من النعيم والكرامة، قال الضحاك: مسفرة من آثار الوضوء وقيل من قيام الليل[1].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

فالضحك هنا دليل على السرور المجرد[2]، والمعنى: مسرورة فرحة بما أعطاها الله من النعيم، مستبشرة: فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل راجية من الله الزيادة[3].

قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ : هؤلاء أهل الجنة[4].

المبحث الثاني: الضحك بمعنى التهديد.

ورد هذا المعنى في آية التوبة حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[5].

بين يدي الآيات:

يقول تعالى ذاماً المنافقين المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بقعودهم بعد خروجه، بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا ولو لعذر حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ويرجون من فضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه. وقالوا إن النفير مشقة علينا، بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة..وحذروا من الحر الذي تقي منه الظلال، وتذهبه البكور والآصال، على الحر الشديد وهو النار

---

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥ /٣٨٦)، روح المعاني (٣٠ /٤٩).

(٢) انظر: المفردات للأصفهاني (٢٩٢/١)، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي (٤٦١/٣).

(٣) انظر: الوجيز للواحدي(١١٧٦/٢)، تفسير البغوي (٤٥٠/٤)، تفسير القرطبي(٢٢٥/١٩)، النكت والعيون للماوردي (٢٠٩/٦)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٨/٣٠)، تفسير ابن عثيمين (١٠/١٨).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦٢/٣٠).

(٥) التوبة: ٨١، ٨٢.

الحامية، ولهذا قال: ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) ﴾ لما آثروا، ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة.

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ولهوهم عن طاعة ربهم، فإنهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا جزاء معصيتهم بتركهم النفر إذ استنفروا إلى عدوهم وقعودهم في منازلهم[١].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾.

ورد لفظ الضحك في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا ﴾ واللفظ في الآية لفظ الأمر والمراد به التوبيخ والتهديد وليس أمراً بالضحك[٢]، قال الحسن: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ﴾ في الدنيا، ﴿ وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ في جهنم[٣].

قال ابن عباس:" الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا"[٤].

وإنما أخرج على لفظ الأمر ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا ﴾ للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره[٥].

وفي قلة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل، وضحكهم فيها أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠ /٢٠٢)، تفسير ابن كثير(٢/٣٧٧)، تفسير السعدي (١ /٣٤٦).

(٢) انظر: تفسير السمرقندي (٢/٧٨)، تفسيرالقرطبي (٨/٢١٦)، النكت والعيون للماوردي (٢/٣٨٧)، زاد المسير لابن الجوزي (٣/٤٧٩)، تذكرة الأريب لابن الجوزي (١/٢٢٢).

(٣) انظر: تفسيرالقرطبي (٨/٢١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٢ /٣٧٨)؛ وكذا قال أبو رزين والحسن وقتادة والربيع بن خثيم وعون العقيلي وزيد بن أسلم.

(٥) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/٢٨٢).

الثاني: أن الضحك في الدنيا وإن دام إلى الموت قليل؛ لأن الفاني قليل[1].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: "لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"[2].

المبحث الثالث: الضحك بمعني السخرية والاستهزاء.

هذا المعنى دلت عليه خمس آيات ورد فيها لفظ الضحك بمعنى السخرية والاستهزاء، وبالنظر فيها نجد أن ذلك كان وصفا لفعل الكفار، إلا آية واحدة وردت لبيان حال أهل الإيمان على سبيل المقابلة.

وهذه الآيات وفق ترتيب ورودها في القرآن الكريم على النحو التالي:

أولاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

بين يدي الآيات:

إن رءوس كفار قريش المستهزئين: أبا جهل، وعتبة، والوليد، وأمية ونحوهم، اتخذوا فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سخرياً يستهزئون بهم، ويضحكون من خباب، وعمار، وبلال، وسالم مولى أبي حذيفة ﷺ، ونحوهم من فقراء العرب، فازدروهم، حتى تركهم الاستهزاء بهم عن الإيمان بالقرآن[4].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾.

قال الألوسي: وذلك غاية الإستهزاء[5]، وبذلك قال جمع من المفسرين أن المراد

---

(١) انظر: النكت والعيون تفسير الماوردي (٢ / ٣٨٧).

(٢) صحيح البخاري: بَاب: قَوْلِ النبي صلى الله عليه وسلم لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، ح (٦١٢٠)، (٥ /٢٣٧٩).

(٣) المؤمنون: ١٠٩ – ١١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢ / ٤٠٥).

(٥) روح المعاني للألوسي (١٨ /٦٩).

بالضحك هنا: الاستهزاء[١].

وخلاصة معنى الآية: إنه كان فريق من عبادي يدعون فتشاغلتم بهم ساخرين، واستمر تشاغلكم باستهزائهم إلى أن جركم ذلك إلى ترك ذكري في أوليائي فلم تخافوني في الاستهزاء بهم[٢].

ثانياً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٣].

بين يدي الآيات:

هذه الآية تسلية من الله عز وجل لنبيه ﷺ عما كان يلقى من مشركي قومه، فقد كانت قريش تضحك وتسخر من أخبار محمد ﷺ، وندب منه سبحانه نبيه ﷺ إلى الاستنان في الصبرعلى قومه بسنن أولي العزم من الرسل، فالآية بينت موقف بني إسرائيل من المعجزات، فعندما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه وأراهم المعجزات التي أيده الله بها أخذوا يسخرون منه ويستهزئون به[٤].

كما أن فيها إخبار منه سبحانه لرسوله ﷺ أن عاقبة المكذبين من قومه إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم وإظفاره بهم وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه[٥].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ أي: ضحك المستهزئين المكذبين[٦]، قال

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٤٩٣/٣) وقال: "وفي الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة"، وانظر:أضواء البيان للشنقيطي(٣٦٠/٥).

(٢) روح المعاني للألوسي روح المعاني (١٨ /٦٩).

(٣) الزخرف: ٤٦، ٤٧.

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (٧٩/٢٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٢٠/٧)، فتح القدير للشوكاني (٥٥٨/٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٥ /٧٩).

(٦) تفسير السمعاني (٥ /١٠٦)، وانظر: تفسير البغوي (١٤١/٤).

مقاتل: "﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ استهزاء وتكذيباً"[1].

فقوم موسى بعد رؤيتهم المعجزات لم يذعنوا ويؤمنوا، بل استهزؤوا بها أول ما رأوها و لم يتأملوا فيها[2].

فهنا تبين اشتراك الأقوام المكذبة رغم تباعد الأزمان واختلاف المكان في تكذيب الأنبياء والاستهزاء بأتباعهم.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[3].

بين يدي الآيات:

يوبخ الحق سبحانه الكفار بقوله: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ والمراد بالحديث: القرآن؛ أي: كيف تعجبون منه تكذيباً، ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ منه استهزاءً مع كونه غير محل للتكذيب ولا موضع للاستهزاء، ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ خوفاً و انزجاراً لما فيه من الوعيد الشديد[4].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

إن المراد بالضحك في هذه الآية كما قال المفسرون: الاستهزاء[5]، يضحكون أي كفار مكة مستهزئين بهذا القرآن، و لا يبكون مما فيه من الوعيد، غافلين عن نتيجة لهوهم وبعدهم عن اتباع داعي الله[6]، وكان الأحرى بهم البكاء حزناً على تفريطهم وخوفاً من أن يحيق بهم ما حاق بالأمم السابقة[7].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣ /١٩٢).

(٢) انظر: روح المعاني (٨٧/٢٥).

(٣) النجم: ٥٩، ٦٠.

(٤) فتح القدير للشوكاني (٥ /١١٨).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢٥٧/٤)، نظم الدرر للبقاعي (٨/ ٢٦٠)، روح المعاني للألوسي (٧٢/٢٧)، فتح القدير (١١٨/٥).

(٦) انظر: تفسير النسفي (١٩٣/٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٨٥/٨).

(٧) انظر: روح المعاني للألوسي (٤٣/٢٠).

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون أن أنزل على محمد ﷺ وتضحكون منه استهزاءً به، ولا تبكون مما فيه من الوعيد لأهل معاصي الله وأنتم من أهل معاصيه"[١].

وقد ورد عن رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه أنه لم ير ضاحكاً بعد نزول هذه الآية[٢].

رابعاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٣].

بين يدي الآيات:

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين، وجزاء المحسنين، وذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا، يسخرون بالمؤمنين، ويستهزئون بهم، ويضحكون منهم، فيتغامزون بهم، عند مرورهم عليهم، احتقارا لهم و ازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم.. حكموا لأنفسهم، أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجرؤا على القول عليه بلا علم[٤].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

فالمراد بضحك هؤلاء المجرمين: استهزائهم وسخريتهم من المؤمنين واستصغارهم لهم[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٨٢/٢٧).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣٠٤/٥)، تفسير القرطبي (١٢٤/١٧)، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (٣٨٥/٣).

(٣) المطففين: ٢٩ - ٣٢.

(٤) انظر: تفسير السعدي (١ /٩١٦).

(٥) انظر: انظر: جامع البيان لابن جرير (٣٠٢/٢٤)، الوجيز للواحدي (١١٨٤/١)، فتح القدير للشوكاني (٥٧٠/٥)، تفسير ابن عثيمين (١٤/٢١).

وأورد سبحانه لفظ ﴿يَضْحَكُونَ﴾ ليبين أن ذلك صفة لازمة لهم في الماضي، وصوغ يضحكون بصيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك منهم وأنه ديدنهم، فقد كان مشركي مكة وصناديد قريش كأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد يغوث، والعاص بن هشام، والنضر بن الحارث، كلما رأوا عمار بن ياسر وخباب بن الأرت وصهيب وغيرهم من فقراء المسلمين ضحكوا عليهم استهزاء بهم، وبحالاتهم التي هم عليها من علامات الإيمان في رثاثة أحوالهم، وقلة أموالهم، واحتقار الناس لهم مع ادعائهم أن الله تعالى لابد أن ينصرهم ويعلي أمرهم[1].

قال قتادة: كانوا يستهزؤون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من الفقراء[2].

خامساً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾[3].

بين يدي الآية:

جاءت الآية في سياق ذكر أحوال أهل الجنة يوم القيامة، فالحق تعالى ذكره يبين أن الذين آمنوا بالله في الدنيا من الكفار فيها يضحكون، على الأرائك ينظرون يقول على سررهم التي في الحجال[4] ينظرون إليهم وهم في الجنة والكفار في النار يعذبون[5].

الشاهد من الآية قوله عز وجل: ﴿يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال السعدي: "فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال ضحك المؤمنون منهم في الآخرة ورأوهم في العذاب والنكال الذي هو عقوبة الغي

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٧٦٩/١)، نظم الدرر للبقاعي (٣٧٢/٩).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٧٦/٣٠).

(٣) المطففين: ٣٤.

(٤) الحجال: بيت يزين بالثياب والأسرة والستور.انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤٤/١١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٠ /١١١).

والضلال[١]، وكان بن عباس يقول: "إن السور الذي بين الجنة والنار يفتح لهم فيه أبواب فينظر المؤمنون إلى أهل النار والمؤمنون على السرر ينظرون كيف يعذبون فيضحكون منهم فيكون ذلك مما أقر الله به أعينهم كيف ينتقم الله منهم"[٢].

فضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة حتما[٣]، جاء في روح المعاني: "﴿ يَضْحَكُونَ ﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيتهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر، وأرهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه والظرف، والجار والمجرور متعلقان بيضحكون. وتقديم الجار والمجرور قيل: للقصر تحقيقا للمقابلة؛ أي: واليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا".

قال كعب: بين الجنة والنار كوى[٤]، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو له كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى كما قال تعالى: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾[٥]، فإذا اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾[٦].

المبحث الرابع: الضحك بمعنى التعجب.

جاء هذا المعنى في آية سورة هود، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[٧].

---

(١) تفسير السعدي (٩١٦/١).

(٢) تفسير الطبري (٣٠ /١١١).

(٣) روح المعاني للألوسي (٣٠ /٧٧)، وانظر: تفسير الواحدي (١١٨٥/٢)، التسهيل لعلوم التنـــزيل لابن جزي (١٨٦/٤).

(٤) الكوى: جمع كوة بالضم وهي الخرق في الحائط والثقب في البيت. انظر: لسان العرب لابن منظور (٢٣٦/١٥).

(٥) الصافات: ٥٥.

(٦) تفسير البغوي (٤ /٤٦٢).

(٧) هود: ٧٠، ٧١.

بين يدي الآيات:

لما أتى الملائكة إبراهيم عليه السلام فرآهم راعه هيئتهم وجمالهم، فسلموا عليه وجلسوا إليه فقام فأمر بعجل سمين فحُنِذ[1] له، فقرب إليهم الطعام، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، وسارة وراء البيت تسمع، قالوا: لا تخف إنا نبشرك بغلام حليم مبارك، وبشر به امرأته سارة فضحكت وعجبت، كيف يكون لي ولد وأنا عجوز وهو شيخ كبير فقالوا: أتعجبين من أمر الله فإنه قادرعلى ما يشاء فقد وهبه الله لكم فابشروا به[2].

الشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾.

فقد اتفق عدد من المفسرين على وقوع الضحك في هذه الآية تعجباً[3]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[4].

و اختلفوا في سبب ذلك، قال ابن عباس ووهب: ضحكت عجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها[5].

وقال قتادة: فضحكت امرأته وعجبت أن قوما أتاهم العذاب وهو في غفلة فضحكت من ذلك وعجبت[6].

وقال بهذا المعنى ابن جرير في تفسيره بعد سرد أقوال أهل التأويل في الآية:

"وأولى الأقوال: فضحكت فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله، وغفلتهم عنه لأن الله تعالى ذكر عقب قولهم لإبراهيم: ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّآ

---

(١) حنذ اللحم إذا شواه على الحجارة المحماة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/٢)، أساس البلاغة للزمخشري (١ /١٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٣/١٢).

(٣) انظر: تفسير القشيري (٥١/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤)، نظم الدرر للبقاعي (٥٥٤/٣)، بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤٦١/٤).

(٤) هود: ٧٢.

(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير (٧١/١٢)، زاد المسير لابن الجوزي (١٣٠/٤) عن ابن عباس.

(٦) نقلا عن تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٥٤/٦).

﴿أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ فإذا كان ذلك كذلك وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم لا تخف كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط"[١].

وأيد هذا المعنى صاحب المفردات في كتابه[٢]، كما جاء في كتب اللغة: الضحك العجب[٣].

هذا؛ وقد ذكر بعض المفسرين أن معنى الضحك في الآية بمعنى: حاضت؛ قاله ابن عباس في رواية[٤] ومجاهد[٥] وعكرمة[٦] مستدلين بقول بعض أهل اللغة: ضحكت الأرنب ضحكاً حاضت، وقال بعضهم: إن أصله من ضحاك الطلعة إذا انشقت[٧].

وهو قول ضعيف قليل التمكن كما قال ابن عطية[٨]، وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى ضحكت حاضت[٩]، وقال النحاس: "هذا قول لا يعرف ولا يصح"[١٠].

وقد علل صاحب المفردات قول من قال أن ضحكت هنا بمعنى حاضت بقوله: "إنما ذكر ذلك تنصيصاً لحالها وأن الله تعالى جعل ذلك أمارة لما بشرت به فحاضت في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر إذ كانت المرأة مادامت تحيض فإنها تحبل"[١١].

وعليه فمعنى الضحك في الآية التعجب والله تعالى أعلم.

* * *

(١) انظر: جامع البيان لابن جرير (٧١/١٢).
(٢) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٩٢/١).
(٣) انظر: لسان العرب (٤٦٠/١٠).
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (٢٠٥٥/٦).
(٥) انظر: جامع البيان لابن جرير (٧٣/١٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٩/٣)، تفسير البغوي (٣٩٢/٢)، تفسير ابن العربي (٢٢١/١)، تفسير القرطبي (٨٢/٣).
(٦) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١٢٠/٤)، تفسير البغوي (٣٩٢/٢)، تفسير غرائب القرآن (٣٧/٤).
(٧) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٦٠/١٠)، العين للفراهيدي (٥٨/٣).
(٨) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (١٨٩/٣)، وكذا قال بضعفه ابن جزي في التسهيل (١٠٩/٢).
(٩) معاني القرآن للفراء (٢٢/٢)، وانظر: تهذيب اللغة للأزهري (٥٦/٤)، والقول مبسوط في لسان العرب لابن منظور (٤٦٠/١٠).
(١٠) معاني القرآن للنحاس (٣٦٤/٣). كما قال محقق جامع البيان للطبري: هذا خبر هالك من جميع نواحيه.
(١١) المفردات للراغب الأصفهاني (٢٩٢/١) باختصار، وانظر: بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (٤٦١/٤).

الخاتمة

أحمد الله حمداً كثيراً أن يسر لي كتابة هذا البحث، وإتمامه بعونه وتوفيقه، فبعد العيش في ظلال الآيات الكريمة الوارفة الظلال وتدبر معانيها أصل إلى أهم النتائج والتي تتمثل فيما يلي:

١) ثبوت الضحك في حق الله تعالى.

٢) جواز الضحك والتبسم أولى لأنه فعل الأنبياء، وكثرته منهي عنها.

٣) ورود لفظ الضحك في عدة مواطن من القرآن الكريم وأريد به معان مختلفة؛ وهي:

الأول: الفرح والسرور.

الثاني: التهديد.

الثالث: السخرية.

الرابع: التعجب.

وختاما.. أسأل الله تعالى أن يجعل لعملي هذا القبول وأن تتم به الفائدة، ويعم به النفع إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

* * *

المصادر والمراجع

_ أحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

_ أساس البلاغة، محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر – ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

_ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر –بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

_ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥ م، ط٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.

_ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، دار الراية للنشر – السعودية – ١٤١٨هـ، ط٢، تحقيق: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي.

_ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م، ط٣، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

_ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م.

_ الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الوفاة: ٢٥٦، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧ / ١٩٨٧، ط٣، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

_ الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

ـ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.

ـ الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م، ط١، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود.

ـ الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني أبو عبد الله، عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣، ط٣، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري.

ـ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٠٩هـ، ط١، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

ـ الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

ـ الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م، ط١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ط١، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد ، دار المعرفة - لبنان،

تحقيق: محمد سيد كيلاني.
ـ النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، دار الكتب العلمية – لبنان، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ١٤١٥، ط١، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.
ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المكتبة العلمية- لاهور – باكستان، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض.
ـ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، المكتبة العلمية – بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.
ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبد الله ابن يوسف بن محمد الزيلعي، دار ابن خزيمة – الرياض، ١٤١٤هـ، ط١، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد.
ـ تفسير ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، موقع الموسوعة الشاملة على الشبكة العنكبوتية.
ـ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي ود. أحمد النجولي الجمل.
ـ تفسير البغوي، البغوي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
ـ تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.
ـ تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار الوطن –

الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ط١، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم ابن عباس بن غنيم.

ـ تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

ـ تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار الفكر - بيروت، ١٤٠١هـ.

ـ تفسير النسفي، اسم المؤلف: النسفي، الجامع الكبير التراث الإسلامي والعربي الاصدار الرابع.

ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ط١، تحقيق: الشيخ زكريا عميران.

ـ تفسير مقاتل بن سليمان، اسم المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ط١، تحقيق: أحمد فريد.

ـ تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ٢٠٠١م، ط١، تحقيق: محمد عوض مرعب.

ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.

ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.

ـ زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤، ط٣.
ـ شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض،١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ط٢، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
ـ كتاب التسهيل لعلوم التنـــزيل، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، ط٤.
ـ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي.
ـ كتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، الجامع الكبير للتراث الإسلامي، الإصدار الرابع.
ـ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، ط١.
ـ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار الكتب العلمية - بيروت.
ـ مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، عبد الله بن أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ط١، تحقيق: زهير الشاويش.
ـ معاني القرآن، يحي بن زياد الفراء، دار السرور، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار.

ـ معاني القرآن الكريم، النحاس، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩، ط١، تحقيق: محمد علي الصابوني.

ـ معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين - ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ط١.

ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

* * *